المناضلون .. ذكريات حدث لاينسى

■ رجال قليلون يختصهم القدر ليكونوا دون غيرهم شهوداً في تحولات الشعوب في لحظات حاسمة من التاريخ فيكون المشهد واضحاً يثمر انتصاراً باهراً..

كان ثمنه تضحيات جسيمة من الدماء والنفوس وعمل وسهر متواصل لصناع المشهد والحدث .. تمر الثواني وتأتي الدقائق وتأتي لحظات الفصل التاريخي بين مرحلة وأخرى فينتقل صناع الحدث الثوري بشعبهم إلى ساعة الفجر بعد ليل طويل في حياة شعب تجرّع الظلم والاستبداد والتأخر رغماً عنه.

وهؤلاء الرجال هم جزء من جيل عايش لحظات التحول التاريخي لليمن صبيحة الـ٢٦ من سبتمبر ١٩٦٢م لكنهم دون غيرهم أختارهم القدر ليكونوا صناع ذلك اليوم العظيم.

المناضل اللواء عبداللطيف ضيف الله أحد هؤلاء الرجال العظماء في تنظيم الضباط الأحرار الذين سطروا أروع الملاحم البطولية في سجل صفحات التاريخ اليمني الحديث.

في مقولة للمناضل عبدالسلام صبرة الذي كان محور لقاء العسكريين والمدنيين الثوار «إن عبداللطيف ضيف الله كان أكبر الضباط الأحرار سناً».

تولى إدارة مدرسة الاشارة قبل الثورة واستطاع مع رفاقه الأحرار أن ينقلوا اليمن في صبحية الـ٢٦ من سبتمبر إلى عهد جديد دفنوا خلالها عهد الاستبداد والعبودية واحالوا ظلام الليالي أضواء تلألأت في سماء اليمن.. أعادوا البسمات إلى شفاه الشيوخ والشباب والنساء والأطفال.

«الثورة» التقت المناضل اللواء عبداللطيف ضيف الله ليبدأ حديثاً كل سطوره تتلألأ.

لقاء/ محمد حسن شبيطة

المناضل اللواء عبداللطيف ضيف الله يتحدث لـ«الثورة» :

ليعلم الجيل الجديد بان الثورة اخرجت اليمن من القرون الوسطى الى رحاب العصر

■ اللواء عبداللطيف ضيف الله في بداية الثورة

□ هواري بومدين عندما رأى واقعنا قال : لو عرف ثوار الجزائر بواقع اليمن لتركوا نضالهم ضد الفرنسيين وانضموا لثوار اليمن

□ سياسة الأئمة قامت على اعتماد القتل والترهيب به لإخضاع الشعب

□ اسباب الخلافات في الصف الجمهوري كانت نتيجة التركة الكبيرة لحكم الأئمة وقلة الوعي

● كيف تصف شعورك عشية الـ٢٦ من سبتمبر ١٩٦٢م ، وماذا كان يراودك من هواجس فيما لو لم تنجح الثورة؟

– كان شعوري في ليلة الثورة شعور كل مدرك وواع أوقف نفسه وجندها للنضال من أجل إيجاد تغيير جذري يتم خلاله إنقاذ الوطن والإنتقال به من القرون الوسطى إلى القرن العشرين .. وهذا الشعور ينطلق من خطط متواصلة في أعمال متزاحمة عبر ساحات كثيرة محفوفة بالأخطار الجسام ولم تراودني أي هواجس بفشل الثورة اللهم إذا ما كتب لي الاستشهاد وأذكر أنه وبعد مرور ساعات من إعلان تفجير الثورة أثناء سماع بعض الطلقات المضادة من قصر البشائر قال الأخ عبدالله جزيلان في تلك الأثناء «ماذلحين قد عملناها ويقطعوا رؤوسنا بالأحذي» وكان قوله معناه نحن المنتصرون لأن الحق معنا وقضايانا قضايا الوطن عادلة.

استثمار الفرصة

● وضع اليمن عشية الإعداد للثورة كيف كانت الصورة بأبعادها المختلفة ؟

– كان اليمن على موعد لحدث هام يسجل تاريخ ميلاده الجديد عبر ثورة جذرية تقتلع سياسة الحكم الاستبدادي من جذورها لاسيما بعد سماع اليمنيين لخطاب العرش «للبدر» والذي أكد فيه مواصلته لمسيرة سياسة الآباء والأجداد حيث خاطب المستمعين لخطابه بأنه إذا كانت سياسة الآباء والأجداد في قطع الرؤوس من الرقبة فأنا «أي البدر» سأقطع الرؤوس من النصف مما يؤكد أنه سيواصل سياسة الحكم الإمامي الذي جوهره سياسة القتل وقطع الرؤوس لمواصلة الملك والتملك لشعب بكامله من عسكري الإمام ورعوي الإمام ومقدرات شعب بكامله ممثلة ببيت المال.

وعلى الرغم من الاتفاق على ممارسة الحكم من خلال سياسات القتل فيما عبرت عنه رسالة البدر إلى الأمير الحسن إلا أن الحساسية والتنافس على الحكم بين البدر وعمه الحسن مكّن قيادة تنظيم الضباط الأحرار من استثمار هذا الخلاف والتنافس طيلة الأيام والليالي القصيرة وحتى الليلة العظيمة فقد كان لبعض الضباط علاقات إنطلاقاً من جهود الحسن في الدفع بالدفعة الأولى إلى الكلية الحربية ، كذلك جهود البدر في دفع الدفعة الثانية إلى الكلية الحربية وكل ذلك لمواصلة زرع الخلافات في أوساط الجيش .. حيث يكون لكل منهم رجاله والجيش لم تكن له صفات أي جيش في العالم وهذه الإرباكات في أسرة الحكم استفاد منها الضباط الأحرار في مضاعفة الأعمال من أجل المباغتة لتخطيط المفاجأة ، وما أكد نجاح خطة الأحرار ما حدث من ردود أفعال من خلال عدد من الطلقات صباح اليوم العظيم لتفجير الثورة فقد كانت من الأمراء الذين كانوا يؤيدون النظام من أنجاله فقط وكل ذلك عبّر عن شجاعة سياسة التنظيم التي انتهجها والذي كان يمارسها في نطاق السرية في مواجهة سياسة القتل التي كانت تواصل محاربتها للتنظيم.

كذلك صورة اليمن في وضع مترد وسيء في جميع المجالات مما هيأها للثورة.

هبة الشعب

● كيف كان رد الفعل الشعبي عند إعلان قيام الثورة؟

– لقد كان رد الفعل الشعبي فوق ما يتصور المتصورون بالتأييد غير المحدود بداية بالرسائل الفردية والجماعية وعن طريق بيت السلك «الاتصالات البرقية سابقاً» وكذلك بالمظاهرات المتواصلة في المدن اليمنية المختلفة في إب وتعز والحديدة والمدن الأخرى ، وكذلك وصول الوفود الشعبية من معظم مناطق اليمن..

ولكثافة الوافدين جعل عدد من أعضاء القيادة ينتقلون إلى مكتب بعيد عن مركز القيادة ليتفرغوا لمتابعة العمليات الحربية المتواصلة من أجل السيطرة على جميع المواقع الاستراتيجية في جميع أنحاء الجمهورية من جهة ومن جهة ثانية مطاردة فلول الرجعية حتى خرجت من البلاد.

لم تتأخر ..!!

● هناك مقولة مشهورة لأحد الأجانب فحواها أن اليمن نتيجة للظلم والقهر والتخلف كانت مهيأة للثورة إلا أن الغرابة في تأخر اليمنيين عن تفجيرها .. هل هذا صحيح برأيك ؟

– إن تلك المقولة وغيرها من مقولات الإخوان العرب كثيرة في هذا الجانب وهذا بلاشك يدل بوضوح على عدم معرفة الأوضاع اليمنية قبل قيام الثورة من قبل هؤلاء .. صحيح أن اليمن كانت بحاجة ماسة إلى ثورة كحاجة الأرض الجدباء لمطر السماء ولكن نجاحها يبعد بعد الأرض عن السماء نتيجة لسياسة الحكم القاتلة والتي كرسها في تفاصيل الحياة اليومية للشعب .. حيث اعتمد الحكم الإمامي على سياسة إضعاف الشعب لأن النظام كان يرى أنه يستحيل عليه حكم اليمن وهو قوي لذلك كان يمارس سياسة الإضعاف في كل جوانب الحياة لهذا الشعب وسيلة لخضوعه له وليستحيل في ظل ذلك نجاح أي حركة وطنية مهما بلغت درجة الاستعداد لها لتحمل مسؤولية القيام بثورة وأكبر دليل على ذلك ما حدث في الماضي من أحداث أو حوادث منها حركة ١٩٤٨م وانقلاب عام ١٩٥٥م وعلى الرغم من الانتقال من إمامة إلى إمامة أخرى إلا أنها آلت إلى الفشل لأن سياسة الإضعاف التي اتخذها الأئمة جعلت الشعب غير قادر على استيعاب وتقبل ثورة ترفع الظلم عنه .. إلخ.

فثورة ١٩٤٨م عاداها الشعب في مواجهته لها ودليل ذلك نهب صنعاء وملاحقة الدستوريين إلى المدارس ومنها المدرسة العلمية كون عدد منهم يشربون السيجارة ، وكذلك قيام الشعب باعتقال الأحرار ممن شاركوا في ثورة ١٩٤٨م وانقلاب ١٩٥٥م .

وهذه البراهين تؤكد على عدم صحة تلك المقولات بأن اليمنيين تأخروا بالثورة .. وفي هذا الإطار أذكر مقولة للمناضل الرئيس هواري بومدين الذي رأس وفداً إلى صنعاء بعد الثورة في خطاب له بعد أن شاهد اليمن بتخلفها المروع .. قال في خطابه «لو كان ثوار الجزائر يعرفون بهذا الوضع لتركوا نضالهم ضد الفرنسيين وانضموا إلى ثورة اليمن لتفجير ثورة تنقذهم مما هم فيه وفي الدرجة الأولى وعي الشعب».

مواقف

● عندما يقوم أي إنسان بعمل لا بد أن يتعرض لمواقف صعبة وأنت واحد من رجال الثورة وقادتها ما هي المواقف الصعبة وأحرج المواقف السياسية والإنسانية التي تعرضت لها أثناء قيام الثورة؟

– المواقف في الحقيقة عديدة فعندما يتحمل المرء أعمالاً ومسؤوليات لا بد أن تواجهه هذه المواقف وهنا أذكر موقفاً تعرضت له عند تحملي مسؤولية رئاسة المجلس التنفيذي فبعد مؤتمر عمران اتصل بي الأخ المرحوم الأستاذ أحمد الرعيني المسؤول عن الإذاعة يطلب مني كرئيس للمجلس التنفيذي التوجيه بإذاعة قرارات مؤتمر عمران بعد أن يئس من حصول هذا التوجيه من رئيس الجمهورية وفور طلبه كانت التوجيهات واضحة بإذاعة تلك القرارات إنطلاقاً من تنفيذ أهداف ومبادئ الثورة دون الرجوع إلى الجهات العليا مما جعله يعجل بإذاعتها علماً بأن ذلك يعد مخالفة للقيادات التي تعلو المجلس التنفيذي وكان من ضمن القرارات طلب تغيير المجلس التنفيذي إلى مجلس وزراء علماً بأن شخصية رئيس الوزراء المرشح قد حسمت وللأمانة التاريخية فقد كان هناك إجماع من قبل الضباط وغيرهم في قبول تحمل مسؤولية مهام المجلس التنفيذي بالتعاون مع المسؤولين اليمنيين المدنيين وكذلك الخبراء الفنيين من الجمهورية العربية المتحدة وكانت الأعمال تسير بشكل طبيعي وما كان يحدث أحياناً من خلافات تحتية بين أفراد من اليمنيين والأخوة المصريين كانت تحسم بسرعة ووضوح.

وموقف آخر حدث مع أفراد من وزارة الصحة ووزيرها حينذاك الأستاذ حسين المقدمي حدث حوار جاد وصادق ومنصف بين رئيس المجلس التنفيذي ورئيس فريق الخبراء حافظ أبو الشهود بحضور الأخ حسين المقدمي أطال الله في عمره وكانت الأعمال تسير بدون مجاملة يتواصل خلالها الليل مع النهار ويصدق مع النفس وإخلاص فوق التصور إلى جانب أن أحد القرارات التي سبق ذكرها بعدم ممارسة أي عمل في أي مؤسسة مدنية مصحوب بالقناعة التامة من عدم اتخاذك لرئاسة المجلس التنفيذي للشهرة أو المجد.

والجوانب الإنسانية كثيرة نسردها في مناسبة أخرى.

الإمكانيات محدودة

● بعد الثورة كثرت التغييرات الوزارية حتى أنه في إبريل ١٩٦٣م تم تشكيل مجلس تنفيذي برئاستكم فتبدلت مسميات الوزارات إلى مصالح فلماذا برأيك كانت هذه التغييرات الكثيرة؟ .. وما أسبابها؟.. وهل كانت نتيجة لخلافات داخل قيادة الثورة؟

– الأحوال والظروف التي كانت تعيشها البلاد صعبة وقد فرضت ما حدث أما الخلافات في قيادة مجلس الثورة فترجع إلى أن التنظيم الذي أعد وقام بتفجير الثورة لم يتح له الوقت والإمكانيات للخوض في الإعداد لمجلس الثورة نتيجة الموت المفاجئ للإمام أحمد فقد قصف التنظيم قصفاً دون أن يصل إلى أقصى مستوى له في تفجير الثورة عبر الإمكانيات الذاتية.

الدفاع عن الثورة

● يقال أن الخلافات داخل الصف الجمهوري كانت سبباً رئيسياً في تقوية شوكة الملكيين مما أطال أمد حرب الدفاع عن الثورة ما رأيك؟

– هذا صحيح وكل ذلك نتيجة لما خلفته السياسة القاتلة للإمام وتركتها الثقيلة والمروعة والتي تلاءمت مع السياسات الاستعمارية القديمة والحديثة وتركة سياسات القهر والعزلة والتخلف كانت سبباً هاماً لأن الوعي كان محدوداً وكل ذلك أدخل الصف الجمهوري في خلافات توسعت مع الأيام ليقسم إلى قسمين إضافة إلى فريق الأخوة المصريين وتوسعت هذه الخلافات مع المؤامرات المتواصلة من قبل الأعداء .. وبهذه المناسبة أذكر أن المعارك في تلك الأثناء بلغت أربع وأربعين جبهة وفرضت على الجمهورية والجمهوريين بالإضافة إلى ذلك معارك فرعية ناتجة عن التخلف تتعلق بالثار وكانت فترة معارك الصراع والقتال والاقتتال التي خاضتها الثورة من أطول الفترات الزمنية مقارنة مع ثورات أخرى والخلافات بين الجمهوريين كان لها دور كبير في إطالة أمد الحرب المفروضة على اليمن بعد التأييد من قبل شعبها.

صباح الخميس

● لا زال التضارب حول تاريخ الثورة على المستويين الداخلي والخارجي فلماذا هذا التضارب؟

– كانت الثورة قد تفجرت مساء الأربعاء ونجحت صباح الخميس وكانت قد تحددت مساء يوم الثلاثاء ولكن ذلك تأخر وربما يكون هذا اللبس هو السبب وللأمانة التاريخية فإن صباح اليوم العظيم لثورة سبتمبر المجيدة وانتصارها حدث بعد شروق يوم الخميس الـ٢٦ من سبتمبر ١٩٦٢م.

أهم ما تحقق

● ونحن نحتفل بالعيد الثاني والأربعين للثورة ما هي أهم الأهداف التي تراها تحققت وما هي قراءتك للمستقبل ؟.. وكيف ترى الحياة الديمقراطية الحالية؟

– أهم الأهداف التي تحققت أوجزها في بناء الجيش الوطني القوي كماً وكيفاً ومواصلة تحديثه وتحقيق الوحدة اليمنية وإزدهار علاقة اليمن الخارجية.

وبخصوص الديمقراطية الحالية فإن مواصلة ممارسة الديمقراطية الحقة حتى تصبح سلوكاً لدى أفراد المجتمع مكسب للثورة اليمنية والشعب اليمني.

المستقبل نسعى إليه من الإنطلاق عبر الأهداف المعبرة عن الأصالة الحضارية للشعب وربط الأصالة بالمعاصرة فالشعوب والأمم التي تربط أصالة الماضي بحضارة الحاضر يمكن ربطها بحضارة المستقبل وكل ذلك يوفر الكثير من الجهود والإمكانيات بعيداً عن الماسي والنكبات وأتمنى لأجيالنا الحاضرة وجيل المستقبل التمسك بالثوابت والقيم إلى جانب تحقيق الكفاءة القادمة من العلم والخبرة في جميع مجالات الحياة وأن يكون الآباء القدوة الحسنة للأبناء لنتوارث ذلك من جيل لآخر حتى لا نقع في أخطاء نحن في غنى عنها.

دعوة للشباب

● جيل الحاضر الذي هو جيل الثورة هل ترى أن هناك فرقاً بينه وبين الأجيال السابقة؟

– للأسف هناك بعض الفروقات لا تزال قائمة في جيل الحاضر مع جيل الماضي فما نراه للأسف في جيل الحاضر اهتزاز الثوابت والقيم والإقبال على التحرر بمفهوم عكسي والإنجراف نحو الحياة المادية فيما نرى عدم الاهتمام بالمعنويات والمثل العليا التي ساهمت حضارة الآباء والأجداد من خلالها في بناء حضارة إنسانية مجيدة.

علماً بأن المفاهيم الأولية لثورة سبتمبر شملت مراجعات الأسس لحضارة الأمس بالمقارنة من خلال ما يشبه المعادلة إذا كان الآباء والأجداد قد اثبتوا وجودهم وتواجدهم وبالتالي وجود اليمن في مقدمة حضارات العالم والمطلوب هو إثبات وجود الأبناء والأحفاد وتواجدهم سينعكس على اليمن وحضارة اليوم وعلى هذا الأساس شملت الأهداف عند تحديد تحميل مسؤولية القيام بثورة اعتماد حضارة الآباء المجيدة للنهوض بحاضر الأمة.

المناضل عبداللطيف ضيف الله في سطور

مكان الميلاد : محافظة إب مديرية النادرة.

الدراسة الأولية : التحق بالكتاب بمديرية النادرة ومن ثم تم إلتحاقه بالبعثة المرسلة إلى لبنان وأنهى هناك دراسته الابتدائية وحصل على الثانوية وبكالوريوس العلوم العسكرية من الجمهورية العربية المتحدة سابقاً جمهورية مصر العربية حالياً أواخر ١٩٥٩م.

المناصب التي تقلدها :

١– مديراً لمدرسة الاشارة قبل الثورة
٢– من مؤسسي تنظيم الضباط الأحرار
٣– عضواً بمجلس قيادة الثورة٢٧/٩/١٩٦٢م.
٤– وزيراً للداخلية في أول حكومة شكلت في ٣١/١٠/١٩٦٢م.
٥– عضو مجلس قيادة الثورة الثاني٣١/١٠/١٩٦٢م.
٦– عضو مجلس الرئاسة «الأمن القومي» ١٩٦٣م.
٧– رئيساً للمجلس التنفيذي٢٨/٤/١٩٦٢م.
٨– نائب رئيس الوزراء لشئون الصحة والزراعة ١٩٦٤م.
٩– وزيراً للأشغال والمواصلات٦/١/١٩٦٥م.
١٠– وزيراً للأشغال والمواصلات٢٠/٧/١٩٦٥م.
١١– وزيراً للأشغال والمواصلات ٢٠/٧/١٩٦٦م.
١٢– إجازة إجبارية في مصر٢٣/٤/١٩٦٧م.
١٣– نائب القائد العام للشئون المالية والإدارية وقائد حملة فك طريق صنعاء الحديدة «حصار السبعين يوماً».
١٤– محافظاً للواء إب١٠/٣/١٩٦٨م.
١٥– رئيساً للأركان ١٩٦٩م.
١٦– نائباً للقائد الأعلى للقوات المسلحة للشئون العربية ١٩٦٩م.
١٧– وزيراً للمواصلات ١٨/٩/١٩٧١م.
١٨– وزيراً للأشغال ٣/٣/١٩٧٤م.
١٩– نائب رئيس الوزراء للشئون الداخلية لفترة ثلاث سنوات في حكومة الأستاذ/عبدالعزيز عبدالغني.
٢٠– عضواً في المجلس الاستشاري حتى ١٩٨٥م.
٢١– سفيراً لليمن في جمهورية التشيك ١٩٩٤–١٩٩٦م.
٢٢– عضو المجلس الاستشاري ١٩٩٧–٢٠٠١م.
٢٣– عضو مجلس الشورى ٢٠٠١م حتى تاريخه.

المناضل عبداللطيف ضيف الله الآخير من اليسار مع زملائه في عام ١٩٦٠م في اللاسلكي في المطار الجنوبي